صورة الآخر في مجتمع الطوائف – تجربة الشاعر ابن الحداد الأندلسي

حمزة طرشون *
[1] جامعة جيجل(الجزائر)، hamza.tarchoune@univ-jijel.dz
مخبر اللغة وتحليل الخطاب

اسم المشرف: أمينة بوكيل، leaminaz@yahoo.fr

الإرسال: 2026/06/17 القبول: 2026/09/03 النشر: 2026/09/15.

الملخص:
تتناول هذه الدراسة تجليات الآخر في شعر ابن الحداد الأندلسي، الذي عاش في مجتمع متعدد الأديان والأعراق، تحظى فيه الأقليات بدور سياسي وثقافي واقتصادي واجتماعي، ضمنه لها طبيعة المجتمع والنظام الحاكم الأندلسيين، حيث وجدت هذه الأقليات هامش حركة تتفاعل فيه مع غيرها من مكونات المجتمع الأندلسي- خاصة بنيته الصلبة – ونقصد بها الأكثرية العربية الإسلامية، التي فرضت عليها طبيعة هذا المجتمع وتاريخ تشكيله أن يعيش في تفاعل دائم مع هذه الأقليات خاصة الأقليات الدينية (نصرانية ويهودية) التي لم تعش – في كثير من مراحل تاريخها الأندلسي – على الهامش متأثرة بمركزية الحكم العربي الإسلامي. بل لعبت أدوارا مهمة في كثير من الأحيان.

الكلمات المفاتيح: الآخر ؛ الأقليات ؛ المجتمع الأندلسي ؛ ابن الحداد الأندلسي، التعايش

The Image of the Other in the Society of the Taifa Kingdoms: The Experience of the Andalusian Poet Ibn al-Haddad

* **المؤلف المرسل**.

Abstract:

This study examines the manifestations of the Other in the poetry of Ibn al-Haddad al-Andalusi, who lived in a multi-religious and multi-ethnic society. In this society, minorities enjoyed political, cultural, economic, and social roles guaranteed by the nature of Andalusian society and its ruling system. These minorities found a margin of agency through which they interacted with other components of Andalusian society, especially its solid core, by which we mean the Arab-Islamic majority. The very nature of this society and the history of its formation compelled that majority to live in permanent interaction with these minorities, particularly the religious minorities, Christians and Jews. During many phases of Andalusian history, these minorities did not live merely on the margins under the centrality of Arab-Islamic rule. On the contrary, they often played important roles.

Key words: the Other; minorities; Andalusian society; Ibn al-Haddad al-Andalusi; coexistence.

1- مقدّمة: كانت الأندلس مثالا للمجتمعات ذات التعدد والتنوع العرقي والديني واللغوي ، أين مثلتها ثلاث ديانات وأعراق رئيسية ، الإسلام والنصرانية واليهودية ، والإسبان والعرب. ولا غرو أن يحدث الاتصال ثم التقبل فالامتزاج رغم ما بين هذه العناصر من أسباب التنافر والتدابر ، وقد عاش الشاعر ابن الحداد في هذا الجو المتسامح الذي كان مدخلا للتعرف على الآخر المغاير والمخالف ، والاطلاع على لغته وديانته وثقافته ومختلف عاداته الاجتماعية ، فكانت نظرته للمسيحيين من أهل إسبانيا مختلفة وفريدة في تجربته التي عاشها مع راهبة متبتلة منخرطة في سلك الرهبنة.

ورغم أن شعر ابن الحداد قد طرق مرارا دراسة وبحثا ، إلا أن معظم الدراسات تناولت صورة المرأة النصرانية في شعره ، وأحدث دراسة حول تجلي صورة الآخر في شعر ابن الحداد ما كتبه مامادو دمبلي في مجلة الميادين للدراسات والعلوم الإنسانية العدد الثاني 2023

تحت عنوان "صورة الآخر المسيحي في الشعر الأندلسي عند الشاعر ابن الحداد الأندلسي نموذجا -دراسة وصفية تحليلية-، تناول فيها الباحث صورة الآخر النصراني أما هذه الدراسة فتنحو منحى آخر في بحثها عن أسباب تقبل الآخر والرضا به شريكا في المجتمع والحكم بل وفي الأسرة ، مثلما تطلعنا على ذلك الزيجات التي عرفها المجتمع الأندلسي من زواج المسلم بكتابية أو العكس زواج الكتابي من مسلمة ، فمن خلال شعر ابن الحداد الأندلسي ما أسباب تقبل الآخر في المجتمع الأندلسي؟ وكيف تجلى ذلك في المجتمع الأندلسي وانعكس في إبداع مثقفيها ؟

2. مفهوم الآخر: تناول علماء اللغة وعلماء الاصطلاح مفهوم الآخر في جانبيه اللغوي والاصطلاحي بشيء من البسط والشرح ، عرضوا فيه لمفهوم الآخر في جميع صوره اللغوية التي وردت في معاجم اللغة ، ومفهوم الآخر الفلسفي والاجتماعي والثقافي.

2-1- **المفهوم اللغوي:** يحمل مفهوم الآخر في معاجم اللغة معنى المغاير الذي يقابل الذات" والآخر بمعنى غير ، كقولك رجل آخر وثوب آخر... وقوله تعالى: (فآخران يقومان مقامهما) فسره ثعلب فقال: فمسلمان يقومان مقام النصرانيين يحلفان أنهما اختانا ثم يرجع على النصرانيين ، وقال الفراء: معناه أو آخران من غير دينكم من النصارى واليهود وهذا للضرورة لأنه لا يجوز شهادة كافر على مسلم في غير هذا"[1] وحمله فيروز آبادي على نفس المعنى "وبفتح الخاء بمعنى غير"[2] غير أن ابن منظور حمله على مفهوم المغاير في الدين الذي يقابل المسلم ، ويقصد بذلك اليهودي والنصراني.

ولم تبتعد المعاجم الحديثة عن نظيرتها القديمة في تعريف الآخر فقد عرفه صاحب الوسيط بأنه "أحد الشيئين ويكونان من جنس واحد ، قال المتنبي:

ودع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الصائح المحكي والآخر الصدى[3]

وبمعنى غير ، قال امرؤ القيس:

إذا قلت هذا صاحب قد رضيته وقرت به العينان بدلت آخرا"[4]

وقد ورد هذا البيت من قصيدة طويلة لامريء القيس ، مطلعها:

سما لك شوق بعدما كان كان أقصرا وحلت سليمى بطن قو فعرعرا

ذكر فيها الآخر الذي هو بمعنى الغير في بيت آخر غير البيت الذي استشهد به في المعجم الوسيط ، يقول امرؤ القيس:

أأسماء أمسى ودها قد تغيرا سنبدل إن أبدلت بالود آخرا[5]

يقصد أنه سيعوضها بأخرى غيرها إن هي تغيرت عن وده وجفته.

2-2- المفهوم الاصطلاحي : يشير مصطلح الآخر إلى الغير الذي هو مكافئ الأنا ، في مستوياته الجندرية والدينية والأثنية والاجتماعية ، فالأنثى هي آخر الذكر ، والمسلم آخر غيره من أصحاب الديانات الأخرى ، والأبيض آخر الملون ، والغني آخر الفقير وهكذا ، فهوية الذات تتحدد بوجود الآخر.بل البعض يعد صنوه آخر رغم ما يجمعهما ، ورغم نظر الآخر لهم كذات واحدة ، أو كما سماه طاهرلبيب "الآخر الجواني"[6]. لا تتمثل الذات الآخر في ذهنها بل تتمثل الآخر الذي ترى من خلاله ذاتها. إن الذات إنما تنظر للآخر من موقع ضعف ، إذ يظل هذا الآخر بالنسبة لها ذاتها المنقوصة التي تفتقر إلى ما يعتد به الآخر. فتشعر به مهيمنا متغلبا تحاول أن تجد لنفسها إطارا تواجه به هذا الآخر ، فبين مركزية الآخر وهامش الذات تتحدد علاقات التأثر والتأثير ، وليس هنا سلطة لأحدهما على الآخر ، فالتأثر والتأثير متبادل رغم ما بينهما من تباينات "فالآخر ضروري للتغيير والإبداع من أجل الوجود في العالم"[7]. إن شرط الوجود والإبداع مرتبطان بوجود الآخر الذي نرى فيه ذاتنا لأن العالم قائم على المغايرة لا على المشابهة.

3- **بنية المجتمع الأندلسي في عصر الطوائف :** لم يتكون المجتمع الأندلسي على الشكل الذي عرفناه تاريخيا بين ليلة وضحاها ، بل أخذ وقتا ليس بالهين كي يأخذ شكله الذي ميزه عن غيره من مجتمعات تلك الحقبة التاريخية ، حيث أخذت عناصره وقتا لتتفاعل وتشكل مجتمعا شبه منسجم تحت إدارة وحكم عربي إسلامي ضمن لعناصره الأخرى في كثير من الأحيان حقوقها وظللها بظلال الحماية والرعاية حتى أصبحوا مساوين للعنصر العربي بل وفاقوه في فترات تاريخية معينة.

وقد شهد المجتمع الأندلسي في عصر الطوائف نهضة عمرانية بالمفهوم الخلدوني ، ميزها الحركة الأدبية والفنية التي شهدتها ممالك الطوائف ، نتيجة اعتناء حكامها بهذا الجانب في

تدبير الدولة ، بل وكانوا هم رجال قلم وكتابة ، أجادوا نظم الشعر ورصف المعاني ، وقد كان لهذه الحركية الأدبية والفنية التي اتسمت بالحرية الفكرية دور في بروز هذه التفاعلات المجتمعية. التي لم يقف حاجز الدين ولا الأعراف عائقا أمام عملية التثاقف والتحاور والتأثير والتأثر. وقد تشكل المجتمع الأندلسي في عصر الطوائف من عناصر متباينة يمكن أن نقسمها إلى مسلمين وغير مسلمين ، فالمسلمون كانوا يتكونون من العرب والبربر والمولدين والصقالبة ، أما غير المسلمين فتمثلوا في أهل الذمة (النصارى واليهود).

أولا /المسلمون: و يشملون العرب والبربر والمولدين والصقالبة.

العرب :

دخل العرب الأندلس مع الموجة الاولى للفاتحين المسلمين الذين فتحوا جزيرة الأندلس ، وقد استوطنوا عبر جغرافيتها الممتدة خاصة سهولها ، وكان فيهم الملك والقيادة سواء في عصر الولاة أو الإمارة (حكم بني أمية الأسرة القرشية المشهورة) أو فيما بعد لما تفككت أسرة بني أمية بالأندلس وزال ملكهم تفرق بين ممالك الطوائف ، إذ حكمت الكثير من الأسر العربية هذه الممالك ، وقد كانت لغتهم هي لغة الدولة والأدب والعامة ، مع حضور للغات الإسبانية المحلية التي كان بينها وبين اللغة العربية تثاقف وتلاقح.

وقد أنزل والي الأندلس "الحسام بن ضرار" العرب الذين وفدوا إلى الأندلس على شبه أقاليمهم التي وفدوا منها ، لكي يتوازن عمران الأندلس ويتآلف سكانها "فأنزل في كورتي أكشبونة وباجة جند مصر مع البلديين الأول ، وأنزل باقيهم في كورة تدمير ، وأنزل في كورتي لبلة وإشبيلية جبد حمص مع الأول أيضا ، وأزلي في كورتي شدونة والجزيرة جند فلسطين ، وأنزل ف كورة رية جند الأردن ، وأنزل في كورة إلبيرة جند دمشق ، وأنزل في كورة جيان جند قنسرين أين حلب"[8] وهكذا تفرق العرب على جغرافية الأندلس فعمروها وأسسوا بها مدنا جديدة، أو أعادوا بناء ما اندرس منها.

البربر :

كان البربر إلى جوار العرب في فتحهم الأندلس ، وقد شكلوا معظم الجيش الذي فتح جزيرة الأندلس ، ولئن كان استقرار العرب في منبسط الأرض فإن البربر قد فضلوا الاستقرار على

حزن ومرتفع الأرض جريا على عادتهم في شمال إفريقيا في سكناهم الأماكن الوعرة والمنيعة لاعتبارات تاريخية شكلت علاقتهم بالجغرافيا.

وقد استطاع البربر في عهد الطوائف تشكيل عدة إمارات ، كانت أقواها إمارة بني مناد في جنوب الأندلس ، أين حكمت أسرة بربرية من صنهاجة هذه المنطقة.

المولدون :

دخل الفاتحون المسلمون أرض الأندلس وفيها أهلها ، فدخل الإسلام منهم من دخل وبقي على دين النصرانية من بقي ، وقد سمي من أسلم منهم بالمسالمة وسمي من بقي على النصرانية بالمستعربين ، الذين حافظوا على لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، كما تأثروا بعادات العرب وطباعهم ولغتهم وثقافتهم ، فكان ذلك مدخلا لاندماجهم داخل مكونات المجتمع الأندلسي ، فقويت المصاهرات بين هذه العناصر حتى أصبح "عبد الرحمن الناصر حفيدا لأميرة مسيحية من بلاد نافار Navarre في الشمال الإسباني"[9] فكانت العلاقات الإنسانية تسير بشكل طبيعي بين سكان الأندلس ، كما كانت عملية المثاقفة كبيرة وواضحة بين هذه العناصر.

الصقالبة :

الصقالبة هم جنس من العبيد أتي بهم من أواسط أوربا ، وتم استعمالهم في قصور الخلفاء الأمويين في الأندلس كخدم ، أو في مختلف مناصب الدولة ، ثم قويت شوكتهم واتسع نفوذهم ، فأصبحت لهم كلمة مسموعة داخل دوائر السلطة في الأندلس ، خاصة بعد ضعف الخلافة الأموية ، قال شكيب أرسلان في كتابه الحلل السندسية نقلا عن الرحالة ابن حوقل أن الصقالبة لفظ يطلق "على جميع المماليك الذين من أصل أوربي ، والذين كانوا يخدمون في الشرطة أو في الجند أو في قصر الخلافة"[10] مكن لهم هذا الانغماس داخل دوائر السلطة من مراكمة التجارب السياسية والعسكرية والإدارية التي سيوظفونها في تأسيس دولة خاصة بهم شرق الأندلس.

ثانيا / النصارى واليهود:

النصارى :

يمثل النصارى في إسبانيا مجموعة كبيرة لها حضورها القوي على أطراف الثغور الأندلسية ، وقد كانت لهذه المجتمعات المسيحية تبادلات اقتصادية وأواصر قربى ونسب ، إذ إن الكثير من المسلمين تزوجوا من كتابيات ، كما كانت بينهم وبين الحكومات العربية علاقات سياسية ودبلوماسية وسفارات وزيارات. هذه الحركية الاجتماعية والسياسية جعلت عملية المثاقفة والتلاقح الثقافي تتم بشكل عميق ، وتمهد لمعرفة الآخر بعد زوال عقدة الخوف و الانبهار والدخول في مرحلة التعايش والتعرف والتثاقف.

اليهود :

شكل اليهود أقلية معتبرة في الأندلس ، وذات نفوذ واضح ، خاصة في عهد الطوائف أين برزت أسرة آل نغريلة في غرناطة التي لعبت أدوارا مهمة في دولة بني زيري ، فتولوا الوزارة وأداروا أمور الدولة المالية بكثير من الكفاءة ، "فلم يحدث قط أن بلغ التسامح إلى الدرجة التي يوكل فيها منصب الحجابة إلى أحد اليهود"[11] والمقصود هنا هو إسماعيل بن نغريلة وزير الصنهاجيين بغرناطة ، "فانعكست الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية على الحالة الثقافية ليهود الأندلس"[12] فاستقرار أوضاعهم المالية والاقتصادية ، وطمأنينتهم داخل المجتمع الأندلسي جعلهم يشعرون بالأمان الذي دفعهم إلى أن يساهموا في خدمة المجتمع وازدهاره ، فاتجهوا إلى الإبداع الثقافي والعلمي ، وجاروا العرب في ذلك وساروا على طريقتهم ، وقد كان لسلطان اللغة عظيم الأثر في ذلك ، فانقادت لها ذائقتهم الفنية ، وولعوا بتعابيرها وأساليبها. ويهود الأندلس أقدم من العرب الفاتحين ، حيث يعود وجودهم في هذه الأرض إلى قرون طويلة سبقت قدوم المسلمين ، وهم أرسخ وجودا بعد النصارى.

4- **مظاهر تقبل الآخر في شعر ابن الحداد الأندلسي :** أدت معرفة الآخر في عصر الطوائف إلى زوال ذلك الرهاب الذي يتملك الإنسان عند مخالطته الغير ، تحول ذلك الرهاب إلى فضول ثم إلى معرفة مكنت جميع عناصر المجتمع من الاندماج داخل هذا الكيان الذي سعت مكوناته إلى بناء نموذج متجانس ونبذ الاختلافات التي يمكن أن تفجره. وقد ساعد على ذلك انفتاح الحكام على فعاليات المجتمع المختلفة دون نظر إلى ديانة أو عرق. فانتفت صفة الهامش والمركز ، و أسس لما يمكن أن نسميه في عصرنا الحديث الحق في المواطنة ، والمواطن كامل الحقوق ، الذي يتمتع بحقوق معينة ويلتزم بواجبات يحددها عقد اجتماعي واضح الأحكام.

4-1-**الجوار السهل:** عاش المجتمع الأندلسي في عصر الطوائف في ظل نظام اجتماعي متعدد الأعراق والديانات ، تجاورت هذه الطوائف في أحياء مشتركة لم يكن يميز بينها أي شكل من أشكال التمييز ، بيوتهم متلاصقة ، ودور عبداتهم متقابلة ، والنداء للصلاة متداخل بين الأذان وقرع الأجراس.

وتجربة الشاعر الأندلسي ابن الحداد يمكن أن نستشف منها بعض مظاهر تقبل الغير ، فجوار الآخر داخل المجتمع العربي الأندلسي لم يكن جوارا صعبا تحكمه التمثلات التي صنعتها البنى الدينية والتاريخية ، فمحبوبته نويرة التي تغنى بها في شعره هي مستعربة نصرانية كانت تعيش في وسط المجتمع الأندلسي ، لسانها عربي وطبائعها طبائع المجتمع الأندلسي المعروفة في تلك الفترة ، حتى أن اسمها كان اسما عربيا "جميلة" وهذا مما ذكره ابن بسام في الذخيرة "واسمها على الحقيقة جميلة ولذلك قال فيها:

أتعلم أن لي نفسا عليله وأشواقا مبرحة دخيله ؟

وفي طي الخميلة ريم إنس رمزت بها فلله الخميله[13]

وإنما سماها نويرة تحببا وتوددا وجريا على عادة العرب في اتخاذ أسماء ظريفة لمحبوباتهم ، كان يخاطبها ابن الحداد بلسان عربي أندلسي ، أوربما بلسان هجين مزيج بين لغات متعددة ساعدت المثاقفة اللغوية في الأندلس على تكوينه ، ثم تبنيه من طرف المجتمع.

4-2-**معرفة الآخر العميقة:** إن ما يصنعه التواصل من أسباب الانبساط والألفة والتعايش يتجلى في تجربة ابن الحداد مع محبوبته النصرانية التي كان يواصلها فلا تواصله ويطلب ودها فلا تبادله ، ورغم ذلك كان على معرفة عميقة بأصول دياتنها النصرانية ، وأركان عقيدة التثليث ، ومراتب الوظائف الكنسية من أساقفة ورهبان ، وأيامهم وأعيادهم ، ولا يتأتى هذا إلا لمن داوم عشرتهم وأكثر مواصلتهم

4-3-فيصفت محبوبته بأنها عيسوية نسبة لسيدنا عيسى -عليه السلام-

4-4-وعرجا يا فتيي عامر بالفتيات العيسويات[14]

4-5- فهذه النسبة التي تحيل إلى والدة المسيح مريم العذراء المقدسة عند النصارى ، وتأليه السيدة العذراء "كان له جذور في الديانة اليونانية والرومانية ، ويتمثل ذلك في تقديس العديد من الآلهة العذراوات مثل أثينة وأفروديت العذراء وأرتيميز"[15] وعذرية وجمال أفروديت هي نفسها عذرية السيدة مريم والدة المسيح ، وهي كذلك عذرية وجمال محبوبته نويرة التي وهبت نفسها لحياة الرهبنة والنسك. فهو تارة يستعطفها وتارة

يستعطف جمالها بما هو مقدس عندها ابتداء بالسيد المسيح -عليه السلام- وانتهاء بالإنجيل الذي أقسم به في دليل واضح على تسامحه وتماهيه مع دين محبوبته ، رغم ما كتبه معاصره ابن حزم بنفس فقهي إسلامي في فساد العقائد النصرانية وفي تحريف كتابهم المقدس:

4-6-وأقسم بالإنجيل أني لمائن وناهيك دمعي من محق محنث[16]

4-7-وقال مستعطفا لها بحق السيد المسيح:

4-8-عساك بحق عيساك مريحة قلبي الشاكي[17]

4-9-وهنا يطرح سؤال: هل كانت حالة شعورية أثرت في علاقته بالآخر المسيحي ، أم هي تجربة فردية لا يمكن سحبها على المجتمع الأندلسي عامة؟ ، أم هي ظاهرة اجتماعية عمت معظم المجتمع الأندلسي في عصر الطوائف؟ ويبرز موقف المستشرق الهولندي رينهرت دوزي الذي قال بأن عصر الطوائف -وهو العصر الذي عاش فيه ابن الحداد- كان أزهى عصور الآخر المغاير (اليهود والنصارى) على عكس ما عاناه اليهود والنصارى فترتي المرابطين والموحدين ، وقد بنى رينهرت دوزي رأيه هذا على الحرية الدينية والمكانة المرموقة التي بلغها اليهود في بلاطات بعض حكام ممالك الطوائف كبني زيري في غرناطة وبني هود في سرقسطة ، ومساهمتهم في إدارة شؤون الدولة كقيادة الجيوش وتنظيم مالية الدولة وتسيير اقتصاد المملكة.

4-10-

4-11- وقد أظهر ابن الحداد في شعره معرفة كبيرة وعميقة بأصول الديانة المسيحية ، وما تقوم عليه عقيدة النصارى من تثليث وأقانيم ثلاثة:

4-12- حديثك ما أحلى فزيدي وحدثي عن الرشأ الفرد المثلث[18]

4-13- فمحبوبته نويرة من دين يتخذ إلها مكونا من ثلاثة أقانيم "أقنوم (شخص) الأب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم الروح القدس ، والله يتكون من الأب والابن والروح القدس معا ، وهؤلاء الثلاثة كلهم واحد"[19] ، وهذه العقيدة التي لا تتوافق مع ما يؤمن به الشاعر من عقيدة توحيدية تقوم على إله واحد لم تزعج الشاعر ولم تثر فيه مشاعر النفور والانقباض ،بل كان يتلقى كل ذلك بصدر رحب ، ورغم صدود محبوبته نويرة ورفضها وصله فإنه ظل مظهرا جانبا كبيرا من الاحترام لديانتها وما تقدسه من أيقونات مسيحية ، كالصور والتماثيل وهي مقدسة عند النصارى يعبدونها ويسجدون لها "[20] فهم متفقون

على أن يصوروا في كنائسهم صورة يقولون: هي صورة الباري عزوجل وأخرى صورة المسيح ، وأخرى صورة مريم ... ثم يسجدون للصور سجود عبادة ، ويصومون لها تدينا" وكل هذا تلقاه ابن الحداد عن طيب خاطر رغم ما فيه من وثنية تتعارض مع مباديء دينه التوحيدي الذي يعتقد بإله واحد متسام ، مظهرا تسامحا واضحا نحو دين محبوبته نويرة وتقبلا لما تعتقده.

14-4- فأظهر مسيحيو الأندلس حبهم لدينهم وتمسكوا به ، كما أظهر عرب الأندلس جانبا كبيرا من التسامح الديني مع طائفة النصارى ، ومن صور تسامحهم محافظتهم على رفات وضريح قديسة إسبانية قديمة كانت مدفونة في مدينة إشبيلية ، فطالب بها الملك الإسباني فرديننند ورضي ملك إشبيلية المعتضد "أن يسلم إلى رسل يرسلهم إليه فرديننند جثمان القديسة جوست العذراء التي استشهدت في عصر الاضطهاد الروماني"[21]. فطبيعي أن يحافظ النصارى في ممالك العرب الأندلسية على رفات قديسيهم بوجود الكنائس والكاتدرائيات التي تحتضن أضرحة هؤلاء ، فيمارسون طقوسهم ويحتفلون بأعيادهم ، قال ابن الحداد:

15-4- أفصح وحدي يوم فصح لهم بين الأريطى والدويحات

16-4- بموقف بين يدي أسقف ممسك مصباح ومنساة

17-4- وقد تلوا صحف أناجيلهم بحسن ألحان وأصوات[22]

18-4- فابن الحداد كان على اطلاع بأعيادهم وصلواتهم وطريقة إنشادهم ، ورتب القساوسة والأساقفة والرهبان ، كما كان يعرف لباسهم وطريقة تنسيقه ووضعه وألوانه:

19-4- وطي الخمار الجون حسن كأنما تجمع فيه البدر والليل والدجن

20-4- وفي معقد الزنار عقد صبابتي فمن تحته دعص ومن فوقه غصن[23]

21-4- ولباس الرهبان والراهبات دائما يكون أسود بسيطا يغطي الجسم كله ، ويشد على وسطه بزنار.

22-4- إن ما كشفه لنا شعر ابن الحداد أن "المسيحية والإسلام حضارتان شقيقتان بأكثر من مجال ، فكلاهما تعنيان بتراث الوحي والنبوة اليهودي المشترك والفلسفة والعلم الإغريقيين ، وغذت كلتيهما تقاليد الشرق الأوسط القديمة"[24] فالمسيحية والإسلام دينان يشعان من مشكاة واحدة ، فهما ديانتان سماويتان ، وجدتا من السمات المشتركة ما

استطاعتا به تجاوز نقاط الخلاف ، ووضع أسس لحياة مشتركة قائمة على التعايش وتقبل الآخر كما هو دون رغبة في تغييره أو ثنيه عن عقيدته.

5- صورة الآخر المنافس: لم يكن ابن الحداد يرى في نويرة سوى ملك خاص به لا يمكن للغير مشاركته فيه ، فأراد أن يظهر بمظهر البطل الذي يريد أن ينقذ محبوبته من الوحش في آخر القصص الأسطورية ، وما الوحش في نظر ابن الحداد سوى الأسقف والراهب ورجل الدين النصراني المتمسح بمسوح الرهبنة والتقى الزائف في نظر ابن الحداد. ولئن كانت قصص كليلة ودمنة قد صورت الناسك بأقنعة عدة فإن ابن الحداد قد قنعه بصورة الذئب الذي يحمل دلالة ورمزية كبيرة في الموروث الشعبي العربي ، والعقدي الإسلامي ، فالذئب هو المذنب آكل لحوم الأطفال في قصة سيدنا يوسف عليه السلام ، وهو المترصد للأغنام والشاة القصية ، هذه الشاة ما هي إلا نويرة التي يريد الذئب الانقضاض عليها وإيقاعها بين أنيابه ومخالبه ، ذئب يلبس مسوح الرهبنة ويخفي وراء قناع الرهبنة والنسك نفسا متوثبة مترصدة ، يقول ابن الحداد:

5-1- بموقف بين يدي أسقف ممسك مصباح ومنساة

5-2- وكل قس مظهر للتقى بآي إنصات وإخبات

5-3- وعينه تسرح في عينهم كالذئب يبغي فرس نعجات[25]

5-4- هؤلاء هم منافسو ابن الحداد في حب نويرة الأسقف والقس والراهب ، وهم رجال دين نصارى لديهم احتكاك مباشر بنويرة محبوبته ، هذا الاحتكاك الذي أجج نيران الغيرة في قلب ابن الحداد ، فنطق دون وعي منه بما اضطرم داخل صدره ، ونويرة في شغل عن كل هؤلاء مستغرقة في رهبنتها ، متمسكة بتعاليم الكنيسة ، لا يهمها ظاهر ولا باطن رجال الدين هؤلاء ، فهي قد رفضت ابن الحداد ورفضت غيره لأن تعاليم دينها وانخراطها في سلك الرهبنة حرما عليها أي تواصل مع الرجال. لكن رغم ذلك فابن الحداد يريد أن يظهر بمظهر البطل المنقذ ربما حرصا على محبوبته نويرة ، أو لأنه رأى أن هناك منافسين آخرين يريدون أن يصرفوا نويرة عن مواصلتها له بعيونها من تحت برقعها ، وهنا يتجلى شيء من شخصية ابن الحداد ، ويبين شعره جزءا من نفسيته ، الحرص والغيرة الشديدة ، وحب التملك ، والرغبة في تحييد المنافس ليصفو له الجو وحده ، فأراد أن يلعب دور البطولة لأنه رأى نفسه أحق بها من منافسيه "فالبطل هو ذلك الإنسان الذي يضع نفسه في خدمة الحرية"[26] ، لكن ماذا أراد ابن الحداد أن يحرر؟ أراد

الشاعر أن يحرر محبوبته من عبوديتها الاختيارية ، وأن يفتح لها آفاق التمتع بملذات الدنيا ، وأن تجرب الحياة خارج أسوار الكنائس الباردة المعتمة ، أراد أن يخرجها من الظلمات إلى النور ، كما أراد أن يحررها من أسر منافسيه الذين حبسوا جمالها وشبابها في لباس خشن أسود ، وفي حياة رهبنة صارمة في المأكل والمشرب.

5-5-والذئب يكنى أبا جعدة ، والجعدة هي الشاة ، وإنما سمي كذلك لأنه يقع على الخراف القاصية فيفترفسها ، وقد وصف عبيد بن الأبرص يوم مقتله وغدر المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة به ببيت سار مثلا:

5-6- وقالوا هي الخمر تكنى الطلا كما الذئب يكنى أبا جعده

5-7-أي تظهر لي الإكرام وأنت تريد قتلي[27]. إن الذي يجمع بين الذئب ورجل الدين النصراني صوره الشاعر ابن الحداد بشكل عمي ، فالذئب يحمل في كنيته فناء المكنى به ، ورجل الدين النصراني يحمل في مسوحه ووقاره فناء نويرة ، فنويرة هي الشاة التي يريد الكاهن افتراسها والإيقاع بها من خلال ادعاء سمت الكهنة وعفافهم.

5-8-إن تجلربة الشاعر ابن الحداد الأندلسي مع الآخر النصراني -خاصة مع محبوبته نويرة- يمكن أن ينطبق عليها قول الشاعر أبو الطمحان الأسدي:

5-9- وإني وإن كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق[28]

5-10- : يكتب محتوى العنوان ببنط رقيق. .....

.....

4. خاتمة: تميز المجتمع الأندلسي على مر المراحل التي تشكل منها تاريخه بسمات المجتمعات ذات التعدد الإثني والديني واللساني ، وقد استطاعت العربية والإسلام أن يكونا رافدين مهمين من روافد الثقافة الإيبيرية التي تبناها معظم أهل الجزيرة التي وقعت تحت حكم العرب ، فحافظ أهل الديانات الأخرى على ديانتهم ودخل من شاء منهم في الدين الجديد الوافد ، وهكذا تشكلت كبرى الديانات الثلاث في الأندلس الإسلام والنصرانية واليهودية. وعاش أهل الكتاب بين المسلمين وتطبعوا بطباع العرب وحذقوا في علوم الأدب العربي ، وقد كان لهذا التواصل أثر في نظرة الشاعر ابن الحداد إلى الآخر النصراني خاصة بعد تجربته التي عاشها مع محبوبته نويرة النصرانية ، التي حاول هذا البحث أن يبحث من خلال

شعره عن بعض مظاهر تقبل الأخر في فترة ملوك الطوائف ، وقد خلص إلى إيجاد كثير منها كسهولة المعشر وكثافة التواصل ، ومعرفة الآخر النصراني والاطلاع على عقائده وعاداته وتقاليده ، ولم يمنع هذا التباين العقدي بين الديانتين من مد خيوط التواصل الذي كانت المرأة من أهم أسباب قوته.

5- الهوامش والإحالات:

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ج1 ، دار الحديث ، القاهرة ، 2013 ، ص94.

[2] الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، ط8 ، 2005 ، بيروت لبنان ، ص342.

[3] المتنبي ، الديوان ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1983 ، ص373.

[4] المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، ط4 ، 2004 ، مصر ، ص8.

[5] امرؤ القيس ، الديوان ، دار المعارف ، ط5 ، مصر ، 1990 ، ص61.

[6] طاهر لبيب ، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، بيروت ، 1999 ، ص20.

[7] طوني بينيت- لورانس غروسبيرغ- ميغان موريس ، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع ، تر: سعيد الغانمي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2010 ، ص42.

[8] محمد كرد علي ، غابر الأندلس وحاضرها ، المطبعة الرحمانية ، ط1 ، 1923 ، ص32.

[9] عبد الرحمن علي الحجي ، أندلسيات ، دار الإرشاد ، ط1 ، 1969 ، بيروت ، ص160.

[10] شكيب أرسلان ، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، ج1 ، ط1 ، 1936 ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، ص46.

[11] رينهرت دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج3 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1995 ، مصر ، ص23.

[12] أمينة بوكيل ، المكونات العربية في الشعر العربي الأندلسي: موسى بن عزرا نموذجا ، مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم ، الجزائر ، سبتمبر 2013 ، ص53.

[13] أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ج1 ، 1997 ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، ص709.

[14] ابن الحداد الأندلسي ، الديوان ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1990 ، بيروت لبنان ، ص157.

[15] عصمت نصار ، فلسفة اللاهوت المسيحي -العصر المبكر في القرون الخمسة الأولى- ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 2008 ، ص35.

[16] ابن الحداد الأندلسي ، الديوان ، ص170.

[17] ابن الحداد الأندلسي ، الديوان ، ص241.

[18] ابن الحداد الأندلسي ، الديوان ، ص169.

[19] محمد عبد الله الشرقاوي ، دراسات في الملل والنحل -أصول المسيحية الهلينية- مطبعة المدينة ، ط1 ، 1993 ، القاهرة ، ص104.

[20] ابن حزم الظاهري ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج2 ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، ص205.

[21] رينهارت دوزي ، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام ، مؤسسة هنداوي ، 2012 ، المملكة المتحدة ، ص82.

[22] ابن الحداد الأندلسي ، الديوان ، ص159 ،158.

[23] ابن الحداد الأندلسي ، الديوان ، ص256.

[24] برنارد لويس ، أزمة الإسلام -الحرب الأقدس والإسلام المدنس ، رؤية المحافظين الجدد واليمين الأميركي للإسلام المعاصر- ط1 ، دار ومكتبة عدنان ، بغداد ، 2012 ، ص.45

[25] ابن الحداد الأندلسي ، الديوان ، ص158.

[26] جوزيف كامبل ، البطل بألف وجه ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، دمشق سورية ، ط1 ، 2003 ، ص28.

[27] كمال الدين محمد بن موسى الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ج2 ، دار البشائر ، دمشق سورية ، ط1 ، 2005 ، ص428.

[28] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، كتاب الحيوان ، م3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط2 ، 2002 ، ص88.

6- مصادر البحث ومراجعه:

- ابن حزم الظاهري ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج2 ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان.
- ابن الحداد الأندلسي ، الديوان ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1990.
- ابن منظور ، لسان العرب ، ج1 ، دار الحديث ، القاهرة ، 2013.
- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ج1 ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1997.
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، كتاب الحيوان ، م3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط2 ، 2002.
- امرؤ القيس ، الديوان ، دار المعارف ، ط5 ، مصر ، 1990.
- أمينة بوكيل ، المكونات العربية في الشعر العربي الأندلسي: موسى بن عزرا نموذجا ، مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم ، الجزائر ، سبتمبر 2013.
- برنارد لويس ، أزمة الإسلام -الحرب الأقدس والإسلام المدنس ، رؤية المحافظين الجدد واليمين الأميركي للإسلام المعاصر- ، ط1 ، دار ومكتبة عدنان ، بغداد ، 2012.
- جوزيف كامبل ، البطل بألف وجه ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، دمشق سورية ، ط1 ، 2003.
- رينهرت دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج3 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1995.
- رينهارت دوزي ، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام ، مؤسسة هنداوي ، المملكة المتحدة ، 2012.

- شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج1، ط1، المطبعة الرحمانية، مصر، 1936.
- طاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1999.
- طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
- عبد الرحمن علي الحجي، أندلسيات، دار الإرشاد، ط1، بيروت، 1969.
- عصمت نصار، فلسفة اللاهوت المسيحي -العصر المبكر في القرون الخمسة الأولى-، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2008.
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، لبنان، 2005.
- المتنبي، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1983.
- كمال الدين محمد بن موسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج2، دار البشائر، دمشق سورية، ط1، 2005.
- محمد عبد الله الشرقاوي، دراسات في الملل والنحل -أصول المسيحية الهلينية-، مطبعة المدينة، ط1، القاهرة، 1993.
- محمد كرد علي، غابر الأندلس وحاضرها، المطبعة الرحمانية، ط1، 1923.
- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004.